الجزء الخامس – الخطبة رقم ١٢

مواقف في الفتن – ٢

إن الحمد لله ...

فمعاشر المسلمين: معاشر شباب الإسلام؛ إن من المعلوم قطعاً أن شباب الأمم هم عمادها وعليهم أو بسببهم تقوم الأمم أو تهبط، ولذا كانت تلك المرحلة العمرية هي أخصب مراحل العمر ففيها يبني المرء شخصيته ويشق طريقه في معترك الحياة، ولذا حرص النبي صلى الله عليه وسلم على هذه الطائفة وخصها بمزيد من العناية والرعاية، فخرج جيل الصحابة رضي الله عنهم مستمسكاً بدينه متوثقاً بعراه، فكانوا مفاتيح خير لمجتمعهم وشامة نور في تاريخ أمتهم، وسبب ذلك بعد توفيق الله تعالى تبصرهم في الأمور، وقوة عزيمتهم، وصادق مودتهم، فرفع الله شأنهم وأعلى مكانتهم.

معاشر المسلمين: معاشر شباب الإسلام؛ أنتم أمل أمتكم، فصلاح الأمة بصلاح شبابها واستقامتهم، شباب الإسلام؛ كونوا قدوة خير، وكونوا مفاتيح خير، فبيوتكم تؤمل عليكم، وأسركم تؤمل عليكم، ومجتمعاتكم تؤمل عليكم. شباب الإسلام: إن من أعظم المواقف لظهور أثركم وتأثركم يكون في مواطن الفتن وحلول النوازل؛ فإذا جاءت النازلة ودهمت المصيبة نظر الناس إليكم وأصغوا إلى حديثكم بعد علمائكم، فكونوا شباب الإسلام على بصيرة من الأمر فأنتم قدوة وإياكم والعجلة المذمومة، كونوا على بصيرة؛ والبصيرة هي العمل بعلم والقول بعلم وبخاصة في مواطن الفتن والنوازل. شباب الإسلام: سلوا الله التوفيق والإخلاص واحرصوا على التثبت في الأمر. احرصوا على المنهج العلمي الموافق لفهم سلف الأمة، الحذر شباب الإسلام من تصرفات تجعلكم موضع الشماتة من أعداء الخير في الداخل والخارج، فشماتة الأعداء توهن بعض النفوس، وتضعف بعض العزائم، وقد كان صلى الله عليه وسلم يتعوذ بالله من ذلك فيقول:"اللهم إني أعوذ بك من شماتة الأعداء".

معاشر المسلمين: معاشر شباب الإسلام؛ وإكمالاً لما سبق من الوقفات في مواطن الفتن يقال: من مواقف الفتن التي ينبغي التفطن والتنبه لها أن الفتيا ليست مشاعة لكل أحد، وإن مما بليت به أمة الإسلام أن بعض محبي الخير إذا فتح له باب في التأثير على الناس كموهبة في الكتابة أو فصاحة في الخطابة أو قريحة في الشعر صدر نفسه للفتيا وأطلق الأحكام بالحل والحرمة والتبديع والتكفير، وهذا الأمر من أعظم المصائب، ويزداد شر المصيبة إذا التبس على الناس علمه، وعلى شباب الإسلام بخاصة عدم التفريق بين العالم الذي أمرنا الله تعالى بسؤاله وبين غير العالم. شباب الإسلام: إن موهبة الخطابة والكتابة والفصاحة وكثرة العبادة، كل ذلك من أبواب الخير والفضل، إذا كان صاحبها على علم، لكن مع ذلك كله تبقى الفتيا – وبخاصة في الأمور الكبيرة – موقوفة على العالم المعروف بصحة المعتقد وسلامة المنهج والرسوخ في العلم،

وهذا اللبس – عدم التفريق بين العلماء وغيرهم – جر على كثير من مجتمعات المسلمين نكبات وويلات في وقت هم أحوج ما يكونون إلى التكاتف والترابط.

معاشر المسلمين: إنّ تصدر بعض الناس – ممن لم يعرفوا في العلم فضلاً عن التضلع فيه – إن تصدرهم لمجالس الفتيا وإصدار الفتاوى المجردة عن الدليل الشرعي – بسبب عاطفة جياشة أو محاكاة لآخرين – أضاع كثيراً من الجهود، وكان سبباً في إغلاق أبواب من الخير وفتح أبواباً من الشر. شباب الإسلام: وعلى هذا؛ فعلى من اراد الإصلاح أن يتريث إذا التبست الأمور، وليحذر من الأخذ بكل ما يسمع، ولو كان معجباً بالمتكلم، وكان كلامه يأخذ بالألباب، فكل هذا لا يشفع لأخذ كلامه بالقناعة التامة، فمنزلة العالم لا يبلغها المتكلم والخطيب، ولا يكاد، إذا كان عازفاً عن طلب العلم الشرعي. كذلك على من أراد الإصلاح ممن أوتي حظاً في الخطابة أو الكتابة ونحوهما، وحسن ظن الناس فيه، لخلقه وسمته، أن يعرف قدر نفسه، فلا يفتي بغير علم، ولا يستنكف أو يستحيي من قول: لا أدري، لئلا يورد نفسه وغيره موارد الزلل، وبإمكانه أن يرشد إلى أهل العلم فيما لا علم له به، فيكون دالا على خير عظيم، فضلاً عن استبرائه لدينه.

معاشر المسلمين: معاشر شباب الإسلام؛ إن مما يؤخذ على بعض شباب الإسلام أنهم متى ما سمعوا أو قرأوا لمتكلم أو كاتب حشد أدلة ينتصر بها لقوله ثم أخذ يدلل ويعلل أخذوا قول بالتسليم المطلق وانتصروا له ودافعوا عنه، ولم يلتفتوا إلى ما سواه بل نبذوا ما خالفه وردوه بل قد يصل الحال ببعضهم إلى اتهام من خالف ذلك القول وطعنوا في دينه ونيته.

معاشر شباب الإسلام: إن هذا المنهج ذو عوج، فقد يأتي آخرون ينتصرون لقول يخالف ذلك القول الذي تمسكتم به، فكيف يكون حالكم إذا اتهمكم مخالفوكم وطعنوا في دينكم ورموا مقاصدكم بالسوء، أترضون هذا؟! إذن فالحذر الحذر من العجلة وتبني الأقوال والانتصار لها دون ردها إلى أهل العلم والفقه في النصوص.

معاشر شباب الإسلام: وإن مما ينبغي الحذر منه والتفطن له ما يحصل من بعض الناس من كونهم يستفتون أحد أهل العلم فإذا وجدوا قوله مخالفاً لما يريدون أخذوا يجادلون ويجادلون بل قد يسيء بعضهم الأدب مع المسئول إذا لم يتراجع عن قوله. يا سبحان الله أين أدب طلب العلم، وأين الأدب في المناظرة مع من هو في مثل علمك وعمرك، فكيف إذا كان أكبر منك سناً وأكثر منك علماً، الحذر من هذا الصنيع، فإنه يمحق بركة العلم والفهم، قال صلى الله عليه وسلم:"من طلب العلم ليجاري به السفهاء أو يماري به العلماء أو يصرف وجوه الناس إليه فليتبوأ مقعده من النار" أخرجه الترمذي عن كعب بن مالك.

معاشر المسلمين: معاشر شباب الإسلام؛ ومن مواقف الفتن التي ينبغي أن تتفطنوا لها وتحذروا منها، المسارعة في تصديق الإشاعات وتلقفها بمجرد سماعها لأول مرة، ومن ثمّ السعي في نشرها وبثها بين الناس، وإصدار الأحكام بناء على تلك الإشاعة وتعويلاً على لوازمها فترجفون في أوساط الناس بنشر تلك الشائعات، ولا يسمع غالب من يسمعها منكم إلا أن يصدقكم لحسن ظنه فيكم ومن ثم يبدأ سامعوا الإشاعة منكم في نقلها عنكم مع أن تلك الإشاعة لا زمام لها ولا خطام ثم لو تنزل بمصداقيتها ولم تظهر تلك التوقعات الجازمة والأحكام القاطعة، فماذا عسى أن يقول الناس عنكم بعد سقوط أحكامكم وتصوراتكم الجارفة لما بني على تلك الإشاعة.

يا شباب الإسلام: أين أنتم من المنهج العلمي في شأن الإشاعة. يا شباب الإسلام: اجعلوا نصب أعينكم قول ربكم تعالى:"يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين" ففي الآية بيان واضح أن عدم التبين والتثبت في صحة الخبر وعدم التأكد من نقله والتسرع في بناء الأحكام عليه فيه إصابة قوم بجهالة كاتهام أبرياء أو تبرئة متهمين، فالحذر الحذر شباب الإسلام من ذلك كله، واجعلوا نصب أعينكم أيضاً قوله صلى الله عليه وسلم:"بئس مطية الرجل زعموا"، وقوله صلى الله عليه وسلم:"كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع" أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، وفي رواية عند أحمد وأبي داود :"كفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما سمع"، ثم اعلموا شباب الإسلام أن المخرج من ذلك كله أن ترد تلك الأخبار إلى أهل العلم والدراية، كما قال تعالى:"وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ول ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم".

معاشر المسلمين: معاشر شباب الإسلام؛ وإن أعظم الإشاعات تأثيراً وإرجافاً ما تبثه بعض القنوات فيسمع بعض الناس خبراً من كافر عدو للإسلام يجزم فيه ذلك الكافر أنه سيكون كذا وكذا ويطيره كل مطير، ويبني عليه في مجالسه وكتابته ذلك المتسرع ويجعل خبر ذلك الكافر كأنه دليل شرعي فيرجف به في أوساط الناس ويدخل الرعب عليهم وهذا يدل على قلة فقه وضعف بصيرة، هذا في حالة كون الخبر صدقاً والتوقع واقعاً، فكيف إذا كان خبر ذلك الكافر تهويلاً وتضخيماً، ألم يعلم ذلك المتسرع أن الحرب خدعة، ألم يعلم أن الكفار أكذب الناس. اللهم ارزقنا البصيرة في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، أقول قولي هذا...

الخطبة الثانية

يا شباب الإسلام: أنتم قدوة للمجتمع، والمجتمع يؤمل عليكم فكونوا عند حسن ظن الناس بكم، دعوا عنكم المرجفين والمتهورين، فكم تخرّص متسرعون، وكم سعى مرجفون فقالوا وجزموا واتهموا مخالفهم وطعنوا في دينه وقصده، ثم لما تكشّفت الأمور وزال الغبار بطل قولهم وظهر عوارهم وصدق من قال:

ستدري إذا انجلى الغبار أفرس تحتك أم حمار

ثم شباب الإسلام لما ظهر بطلان قول أولئك المرجفين لم يمنعهم حياؤهم من الصمت فحسب وليس الاعتراف بالخطأ بل تأخذ بعضهم العزة بالإثم فيزداد عناداً واستكباراً، وهذا عياذاً بالله تعالى ممن قيده هواه وشيطانه فأصبح أسيراً يقاد ولا يقود ويساق ولا يسوق، يتهم أهل البلد تارة وتارة يتهم علماءها وتارة يتهم بعض شبابها، ومع هذا كله لم يقف أولئك عند هذا الحد بل زاد الطين بلة والماء تعكيراً فكانوا أسرع الناس عند حصول النوازل؛ أسرع الناس إلى في بث الإشاعات وتهويل الناس والإرجاف في أوساطهم، فلم يتعظ هؤلاء بخطاهم، بل يرون في أنفسهم أنهم أحق الناس إلى بالكلام في نتائج النوازل وأن الأصل كلامهم وتقريرهم واستنتاجهم فيا عجبى من أولئك القوم تناقض في القول وإصرار على الخطأ وعدم حياء من الناس ولكن بحمد الله تعالى لسان العقلاء وأهل العلم يقول لأولئك المرجفين والمخذلين وأمثالهم:

وإن عادت العقرب عدنا لها وكانت النعل لها حاضرة

معاشر شباب الإسلام: ومن مواقف الفتن وهو يلتحق بما قبله، أن بعض الناس قد يؤتى قدرة في الاستقراء والتتبع والسبر والتقسيم لحال واقع المسلمين وما يكاد لهم من أعدائهم وعنده ملكة في التعبير بلسانه أو بنانه عن تحليل تلك الأخبار وبيانها مفصلة مرتبة. ولا شك ولا ريب أن هذا نوع من الموهبة والفطنة، ولو أن ذلك المستقري والمتتبع وقف عند هذا الحد لقضي الأمر، لكن المصيبة ها هنا أن ذلك الكاتب المحلل لواقع المسلمين وكيد عدوهم ينصب نفسه عالماً مفتياً فيقوم بإصدار الحلول الشرعية في زعمه مع أنه ليس له حظ من العلم الشرعي بل لم يعرف بمجالسة أهله فضلاً عن جهله بمقاصد الشريعة، وإذا كان ذلك كذلك فكيف يخول لنفسه مقام القضاء والفتيا، فيا أسفى على شباب ذي همة عالية يجعلون مثل أولئك قدوة لهم في أحكامهم ويزداد الأسى والأسف والحسرة إذا عدوا أولئك من العلماء، وتبلغ المصيبة أوجها إذا همش العلماء الراسخون لأجل أولئك الكتبة.

معاشر شباب الإسلام: وإن مما يذكر فيشكر لبعض أصحاب الأقلام المستقرئة لأحوال الإسلام أنهم بعد رصد أحوال المسلمين، وبعد رصد مكائد أعدائهم، يقوم أولئك الكتبة بعرض

ما كتبوا على علماء الشريعة الموثوقين، ويتلقون فتاواهم وتوجيهاتهم، ومن ثم يجعلون تلك الفتاوى والتوجيهات حلولاً لما كتبوا ، فبارك الله في أقلامهم، وأكثر في كتّاب المسلمين من أمثالهم.

معاشر المسلمين: معاشر شباب الإسلام؛ لو سلك بقية الكتّاب مسلك هؤلاء الكتبة لزال كثير من أسباب الخلاف والشقاق وصدق من قال، وما أحسن ما قال:"لو سكت من لا يعرف قل الاختلاف"، وأصدق منه وأحسن قول النبي صلى الله عليه وسلم:"من كان يؤمن بالله واليوم والآخر فليقل خيراً أو ليصمت".

اللهم يا ذا الأسماء الحسنى والصفات العلى يا فالق الحب والنوى، يا من يعلم السر وأخفى، اللهم إن أعداء الإسلام والمسلمين قد قالوا فكذبوا، وقد عاهدوا فغدروا، وقد خاصموا ففجروا، اللهم رد كيدهم في نحرهم، واجعل تدبيرهم تدميراً عليهم، اللهم نج المستضعفين من المسلمين في كل مكان، اللهم نج المستضعفين من أهل السنة في العراق، اللهم احفظ عليهم دينهم ومعتقدهم، اللهم أمن روعاتهم، واستر عوراتهم، واحفظ لهم أولادهم وأموالهم، وأبدلهم من بعد خوفهم أمناً ومن بعد ذلهم عزاً.

اللهم إن أهل السنة في العراق قد ألمت بهم الملمات وادلهمت عليهم الخطوب، اللهم اكفهم شر عدوك وعدوهم من العرب والعجم أجمعين.

اللهم سلط الظالمين على الظالمين، واجعل بأسهم بينهم، واجعل الدائرة عليهم، واجعل الظفر والفوز لأهل السنة الموحدين، اللهم مكن لهم في الأرض، ويسر لهم في الأمر، واحفظهم في العسر واليسر.

اللهم وفق ولي أمرنا لما تحب وترضى، وخذ بناصيته للبر والتقوى، واجعل اللهم قوله رشيدا ورأيه سديدا، وارزقه البطانة الصالحة أهل الرأي والعلم والمشورة، واكفه شر أصحاب السوء والضغينة.

وللحديث بقية إن شاء الله، وأقم الصلاة.